الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم –

كلية الآداب والفنون

قسم الأدب العربي

السنة الثانية ماستر LMD

تخصص : بلاغـــة عربية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر الموسومة بـــ :

مصطلح البديع في التراث البلاغـــي

ابن الأثيـــر نموذجـــا

إعداد الطالب :

*بوقلوش فتحي

إشراف الأستاذ :

* قاضي الشيخ

السنة الجامعية 2016/2017

كلمـة شكـر و تقد يـر

قـال الله تعـالى : بسـم الـه الـرحمن الـرحيم " **وَقُـلِ اعْمَلُـوا فَسَـيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُـمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ " الآية 105 : سورة التوبة .**

الحمـد لله عزوجـل علـى تـوفيقي فـي إتمـام هـذا البحـث ، وأتقـدم بالشـكر الجزيـل إلـى الأسـتاذ المشـرف قاضـي الشـيخ والـذي طالمـا أمـدني بنصـائح وتوجيهـات قيمة.

كمـا لا أنسـى أن أوجـه كـل الشـكر والعرفـان إلـى مـن مـد يـد العـون والمسـاعدة لإتمام هذا البحث.

كمـا أشـكر كـل الأسـاتذة وأشـكر كـل مـن سـاهم فـي إنجـاز هـذا البحـث مـن قريـب أو بعيـد ، وأسـأل الله عزوجـل أن يهـديني سـبيل الرشـاد ويلهمنـي التوفيـق والسداد .

بوقلوش فتحي

الاهـــــداء

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى الأمين

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من حملتني و هنا على وهن وسهرت وتعبت من أجل أن أصبح افتخارا لكل عائلتي و التي أعمل الدهر كله و ما أعطيها حقا و ما أرد لها تعبها وشقاها إلى **أمي الغالية** والحنونة أطال الله بعمرها وحفظها إن شاء الله

إلى الذي كان لي عونا وسندا طوال مشواري والذي وهب لي حياته من أجل تربيتي وتعليمي ، و إلى الذي ضحى بحياته لأجل راحتي و سعادتي **أبي العزيز** أطال الله في عمره و حفظه من كل مكروه..

و إلى كل من ساعدني من قريب و بعيد إلى كل عائلتي و أقاربي إلى من سرنا سويّا و نحن نشق الطريق نحو النجاح ولإبداع إلى من تكاتفنا يدا بيد ونحن نقطف زهرة تعلّمنا إلى زملائي جميعا.

إلى من علّمونا حروفا من ذهب و كلمات من درر و عبارات من أسمى و أحلى عبارات العلم إلى من صاغوا لنا علمهم حروفا ومن فكرهم منارة تنير لنا سيرة العلم و النجاح إلى أساتذتنا الكرام حفظهم الله.

مقدمـــــــة

كان لنزول القرآن الكريم الفضل الكبير في نشأة العلوم وتطور الفكر عند العرب والمسلمين ، فقد دعا القرآن إلى العلم والبحث وأمر العقل بالنظر والتدبر وحث الإنسان على الإجتهاد ونبذ التقليد ، وكان لتوجيهاته الأثر الكبير في سطو شمس الحضارة واتجاه المسلمين نحو الإهتمام بالعلوم والفنون والثقافات المختلفة فكان أن إنتشرت الكتابة واتسعت دائرة التدوين ، وبدأت العلوم تأخذ طابعا منهجيا سليما شيئا فشيئا ولاسيما بعد الفتوحات الإسلامية ومانتج عنها من انفتاح على الحضارة الأخرى فكان أن وضعت المبادئ والأصول لمختلف العلوم منذ القرن الأول الهجري ، وبالخصوص تلك المتعلق بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف واللغة العربية الفصحى وفي القرن الثاني للهجرة بدأت اللغة العربية تشهد إنتاجا علميا ومؤلفات أصيلة في مختلف العلوم والفنون.

فنجد علم البلاغة من أبرز العلوم وأشرفها مكانة عند العرب والمسلمين فقد ارتبط منذ نشأته بالقرآن الكريم وكان أداة مهمة لفهم قضية الإعجاز تلك الكتب الخاصة بالإعجاز هي النواة الأولى التي أسهمت في نشأة هذا العلم وتطوره و إزدهاره حتى أصبح علما قائما بذاته ، فيه من القواعد والأصول ما جعله أحد العلوم البلاغة العربية وأركانها الاساسية .

فلعل أقل العلوم حظا من بين علوم البلاغة وأقلها عناية من حيث إهتمام الباحثين به هو علم البديع والذي يبدوا لنا أن السبب راجع إلى الخلاف الذي دار قديما بين العلماء حول مكانة البديع من مطابقة الكلام لمقتضى الحال التي هي عماد البلاغة العربية فمعظم البلاغيين لا يرون له دورا في تحقيق هذه المطابقة بل إن هناك من ذهب إلى أن المحسن البديعي إن لم تكن له نكتة فهو من علم البديع وإن وجدت له نكتة فهو من علم المعاني .

كما أن طريقة المعالجة عندهم لا تعتني بهذا العلم وقضاياه ، ولا تتفق عندها ولا توضح أسرارها فقد جعلوه ذيلا في البلاغة العربية بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة فتلك نظرة المتأخرين في مسائل هذا العلم وقضاياه أمثال السكاكي وغيرهم ، ولما كانت تلك نظرة جل المتأخرين، رأيت أن أختار نموذج من المتأخرين الذي عادوا بالبديع غلى سيرته الأولى وهو ضياء

الدين ابن الأثير في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر فجاء بشواهد من قمة التراث العربي" القرآن الكريم وأحاديث المصطفى صلى ومن كلام العرب البلغاء من شعر ونثر" فكان البديع عندهم وسيلة من وسائل التعبير وليس غاية تبذل في سبيلها الجهود وتتسابق في إدراكها القرائح والعقول.وما دفعني إلى إختيار هذا الموضوع الأسباب التالية :

1-أهمية هذا الموضوع وقيمته الكبرى مستمدة من قيمة التراث العربي ممثلة في القرآن الكريم وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم .والشعر العربي الذي كان في تلك الفترة التي ازدهرت فيها العربية .

2-أن علم البديع لم ينل من بين علوم البلاغة عند المتأخرين و الإهتمام الذي حضي به علما المعاني والبيان إذ جعلوه ذيلا في البلاغة العربية ولا يذكرونه إلا بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة . وعلى ضوء هذا ما مفهوم البديع ؟ وهل للبديع دور في تحقيق الإحساس بالمتعة والجمال ومخاطبة المشاعر؟ وهل يمكن القول بأن البديع أمر زائد أو غير مرغوب فيه . وللإجابة على الأسئلة قمنا بتقسيم بحثنا هذا إلى مقدمة وفصلين ففي الفصل الأول الموسوم بي المراحل التاريخية لنشأة مصطلح البديع وتطوره يتفرع عنه مبحثين : ففي المبحث الأول تطرقت إلى مفهوم البديع لغة و إصطلاحا وفي المبحث الثاني تناولت فيه أهم رواد البديع منذ عصر الجاحظ إلى غاية السكاكي .

أما الفصل الثاني فكان فصل تطبيقي البديع عند ضياء الدين إبن الأثير والذي يتفرع إلى مبحثين ففي الأول كان عبارة عن نبذة تاريخية عن حياة إبن الأثير ومنهجه في كتابه المثل السائر وفي المبحث الثاني يضم بعض أنواع البديع الذي تطرق إليها إبن الأثير إضافة إلى الخاتمة تناولت فيها أهم النتائج المتوصل إليه من خلال البحث .

وقد إقتضى موضوع بحثنا أن نتبع المنهج التحليلي لأننا بصدد تحليل ألوان البديع اللفظية والمعنوية لضياء الدين إبن الأثير.

وقد إستعنا في بحثنا هذا بمصادر ومراجع نعتبرها ركائز مرجعية لها الأفضلية في تحقيق أهدافي ونذكر منها المثل السائر لضياء الدين إبن الأثير وعلم البديع لعبد العزيز العتيق .

وإننا نرجوا أن نكون وفقت في هذا البحث وأجبنا عن إشكالاته ولو بشكل جزئي وفي الأخير نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير والامتنان للأستاذ المشرف قاضي الشيخ الذي تحمل عناء البحث، كما نتقدم بالشكر الكبير للأساتذة الكرام بكلية الآداب والفنون الذين صهروا على حسن تدريسنا.

الفصل الأول

المراحل التاريخية لنمو مصطلح البديع

- **المبحث الأول:** تعريف مصطلح البديع لغة وإصطلاحا
- **المبحث الثاني** : أهم رواده من القرن الثالث هجري أي من عصر الجاحظ إلى بداية بالقرن السادس هجري مع السكاكي

البديع في اللغة :

جاء في قاموس المحيط ، البديع ، المبتدع [1] والمبتدع باسم الفاعل واسم المفعول والبدع الأمر الذي يجئ أولا وأبدع إبداعا والشاعر أتى بالبديع ... والمادة كلها تدور حول الإبتداء بشيء غير أن يكون له مثال سابق ، وفي القرآن الكريم في وصف الله سبحانه وتعالى : "بديع السموات والأرض"[2] ، أي منشؤها على غير مثال سابق ، وكل من أنشأ ما لم يسبق إليه ، يقال له مبدع وسميت البدعة بذلك لأن قائلها أو فاعلها إبتدعها من غير أن يكون له سلف فيها ولم يعرفها العرف ، ومنه بدائع الدهور ، أي الأمور المستحدثة التي لم يسبق لها نظير والإبداع و الإختراع في اللغة بمعنى واحد [3] والبديع فعيل بمعنى مفعول ومنه الإبداع في الفنون والآداب وكل فن أو أدب مبدع أن صاحبه أتى على وجه خال من التقليد والمحاكاة فهو ومبدع وعمله مبدع بفتح الدال أنشد إبن أعرابي أبي محمد الفقصي :

نضحن ماء البدن المسرى نضح البديع العفق المصفرا

ولا يخرج معنى كلمة البديع في المعاجم الأخرى عن معنى الجدة والبراعة وهي من ألفاظ التي وردت في الشعر القديم فقال عدي:

فلا أنا بدع من حوادث تعتري رجالا غدت من بعد بؤس بأسعد

1- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز، القاموس المحيط، مكتبة ومطبعة مصطفى ألبابي الحلبي، مصر، 1952، 132، ص 3.

2- سورة البقرة، الآية 117.

3- عبد العظيم المطعنى ، البديع من المعاني والألفاظ ، دار وهدان للطباعة والنشر ط1 ، 1976 ، ص 5 .

في المصطلح :

يعرفه إبن خلدون :

هو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق إما بسحج يفصله ، أو تجنيس يشابه بين ألفاظ ، أو تصريح أوزانه ، أو توريه عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه لإشتراك اللفظ بينهما أو طباق بالتقابل بين الأضداد وأمثال ذلك [1] .

فالمناسبة ظاهري بين المعنى اللغوي و الاصطلاحي إسم البديع أو اللطيف كما يسمى أيضا [2].

والمراد بتحسين الكلام وتزيينه وهي مجموعة فنون البديع كالطباق والسجع والجناس والتصريع، وغيرها مما تناوله دراسة علم البديع ومعرفتها تعنى تصور مفاهيمها وحدودها ومواقعها في الكلام، وهذا شيء لا يتساهل فيه أهل العلم.

ويعرفه الخطيب القزويني "هو علم يعرف به وجود تحسين الكلام ، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ، ووضوح الدلالة " [3] .

معنى ذلك أن هذه الوجوه تعتبر محسنة للكلام بعد رعاية مطابقة للكلام لمقتضى الحال ورعاية وضوح الدلالة فالبديع ، لا يكون بديعا إلا بمراعاة ما يدخل في نطاق المعاني والبيان ، وحينئذ يعد الكلام الذي يشمل صنعه البديع هو أقصى مراتب الكلام في الكمال [4] .

1- عبد العزيز عتيق، علم البديع دار النهضة العربية، 1974، بيروت ص7.

2- عبد الرحيم أحمد العباسي ، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، عالم المكتب ، بيروت 1937 ، ج 3 ، ص 55.

3- الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني البيان البديع تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط1 ، ص 348.

4- عبد القادر حسين، فن البديع، دار الشروق، بيروت، ط1، 1983، ص 44.

رواد البديـــــــــع:

الجاحظ المتوفى 255 هـ

ولعل الجاحظ كان أول من إعتنى بالبديع و صوره وأطلقه على فنون البلاغة المختلفة ويشير إلى البديع في البيان والتبيين محددا أهم شعرائه فيقول: " والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ، وأربت على كل لسان والشاعر الراعي كثير البديع في شعره ، وبشار حسن البديع و العتابي يذهب في شعره في البديع مذهب بشار بن برد "[1].

غير أن الجاحظ لم يضع للبديع مصطلحات أو تعريفات علمية ، ولم يدق في توضيح الصور و المحسنات اللفظية والمعنوية التي يعنيها لفظ البديع عنده،ولم يضع لها قواعدها ، بل كان حسبه أن يقدم النماذج والأمثلة لهذه المحسنات ، وهو يذهب في البديع مذهب معاصريه ممن أدخل الاستعارة والطباق والجناس والتورية والتشبيه والكناية في أبوابه .

إبن المعتز المتوفى 276 هـ

وكان إبن المعتز ينظر إليه ، هذه النظرة أيضا وقد ألف البديع ليرد ما ذهب إليه معاصروه من أن هذا الفن طارئ وأن بشار أو مسلما و أبا نواس ومن تبعهم لم يسبقوا إليه ، ولكي يبرهن على ذلك قدم في أبواب كتابه أمثلة منه يقول في المقدمة :" وقد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدناه في القرآن الكريم واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع " "[2] .

وقد جمع إبن المعتز في كتابه البديع ثمانية عشر نوعا من أنواع البديع قسمها إلى قسمين : أولهما جمع فيه أنواع سماها باسم البديع ، عالج فيها الأصول الكبرى للبديع كما يراها ، وهذه الخمسة و هي : الإستعارة و التجنيس والمطابقة ، ورد الأعجاز على ما تقدمها ، والنوع الخامس هو المذهب الكلامي الذي أسنده إبن المعتز تسميته إلى الجاحظ قائلا "[3] : " وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئا وهو ينسب إلى التكلف ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا " .

1- الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الانجلو حرية ، ص2 ، 1948 ، ج ، ص55.

2- إبن المعتز ، البديع تحقيق كراتشفو قسكي ، دار الحكمة ، دمشق بدون . ط ، ص 2 .

3- المصدر نفسه ص 53.

أما القسم الثاني من كتاب البديع فقد أطلق عليه إبن المعتز إسم محاسن الكلام وقد نص إبن المعتز على كثرة هذه المحاسن ، وأنه لا ينبغي لأحد إدعاء الإحاطة بها فيقول بعد أن ذكر الخمسة الأصول السابقة ونحن الآن نذكر بعض المحاسن الكلام والشعر ومحاسنها كثيرة لا ينبغي للعالم أن يدعي الإحاطة بها حتى يتبرأ من شدود بعضها عن علمه وذكره[1] .

وقد ذكر إبن المعتز من هذه المحاسن ثلاثة عشر نوعا في القسم الثاني من كتابه وهي الالتفات ، الاعتراض ، الرجوع ، حسن الخروج، تأكيد المدح بما يشبه الذم ، تجاهل العارف الهزل يراد به الجد ، حسن التضمين ، التعريض ، الكناية ، الإفراط في الفقه ، وحسن التشبيه ، إثبات الشاعر نفسه في القوافي ، حسن الإبتداءات .

والبديع كما تشير إليه هذه الفنون يشمل موضوعات البلاغة المختلفة ومعنى ذلك أن هذا المصطلح كان ذا دلالة واسعة في القرن الثالث للهجرة.

قدامة ابن جعفر المتوفى 337 هـ

قدم قدامة في كتابه نقد الشعر ألوانا عديدة من فنون البديع اتفق مع ابن المعتز في سبعة منها وانفرد هو بالباقي ، أما السبعة التي اتفق مع ابن المعتز عليها في الاستعارة ،التجنيس ، المطابقة الالتفات[2] ، الاعتراض ، وان كان قدامة يسميه التتميم والإفراط في الصفة الذي يطلق عليه قدامة الغلو والمبالغة والتشبيه وقد جعله قدامة غرضا من أغراض الشعر .

وإنفرد عن إبن المعتز بالفنون الآتية، صحة التقسيم، وصحة المقابلات، وصحة التفسير وائتلاف اللفظ مع المعنى والمساواة، والإرداف، التمثيل، إختلاف اللفظ مع الوزن، إختلاف المعنى مع الوزن ، إختلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت ويطلق عليه التمكين عند المتأخرين ، التوضيح ، الإيغال ، إعتدال الوزن ، اشتقاق لفظ من لفظ ، تلخيص الأوصاف، التوازي ، المضارعة ، عكس اللفظ ، أو عكس ما نظم من بناء وأخيـــــرا إتساق البناء والسجع .

1- إبن المعتز ص 57.

2- قدامة بن جعفر ، نقد الشعر تحقيق محمد عبد المنعم القفاجي ط1 ، 1979، ص 80.

يلاحظ على قدامة بن جعفر أنه لم يكتف بسرد هذه الفنون بل أخذ يحددها تحديدا دقيقا حتى أنه كان يسرف في هذا التحديد إسرافا كبيرا ، كما أكثر من ضرب الأمثلة والشواهد عليها ، وهذا هو الذي جعل بعض العلماء البلاغة يعدون قدامة في طليعتهم ويعنون بآرائه و مصطلحاته ، حتى وصفه العلوي بأنه جواب البلاغة ونقادها البصير والمهيمن على معانيها وحريتها الكبير [1] بل جعلوه إماما ورائدا خاصة في البديع .

كما يلاحظ البعض أيضا أن بعض المصطلحات التي إستخدمها قدامة بن جعفر قد تغيرت مدلولاتها على أيدي من أتى بعده من البلاغين فهو يستعمل المصطلح المطابق في مفهوم الجناس التام ، ويقرن بينه وبين مصطلح المجانس الذي هو صورة من صور الجناس غير التام ، كما يستخدم مصطلح التكافؤ في المعنى الذي أطلق عليه البلاغيون .

1- العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983.

أبو هلال العسكري المتوفى 390هـ .

جعل أبو هلال العسكري في كتابة (الكتابة والشعر) الباب التاسع خاص بفنون البديع ، فنراه يسرد الألوان بالشرح والتمثيل وهي من جهود العلماء والنقاد الذين سبقوه وفي مقدمتهم ابن المعتز و قدامة بن جعفر ، فيذ كر منها تسعة وعشرين فنا وهي : الاستعارة ، المجاز ، التطبيق ، التجنيس ، المقابلة ، صحة التقسيم ، صحة التفسير ، الإشارة والإرداف والتوابع ، المماثلة ، والغلو والمبالغة والكفاية ، التعريض والعكس ، التبديل ، التذليل ، الترصيع ، الإيغال ، التوضيح ، رد الأعجاز على الصدور ، التكميل ، التتميم ، الالتفات ، الاعتراض ، الرجوع ، تجاهل العارف الاستطراد، جمع المؤتلف والمختلف ، السلب والإيجاب ، الاستثناء ، المذهب الكلامي ، التشطير فضلا عن ما أخرجه عن دائرة البديع كالإيجاز ، الإطناب ،السجع ،الإزدواج، التشبيه ثم يوضح أنه زاد على الثروة البديعية التي أحصاها عن المتقدمين سبعة أنواع وهي : المجاورة ، الاستشهاد التعطن ، المضاعفة ، التطريز ، التلطف ، المشتق [1] .

وقد اتفـق أبو هلال في هذا البـــاب مع ابن المعتز في هذا الغرض من تأليف كتـــابه البديع حيث يقول في نهاية حصره لهذه الفصول ، " هذه أنواع البديع التي إدعى من لا رواية له ولا دراية عنده أن المتحدثين ابتكروها ، و إن القدماء لم يعرفوها وذلك لما أراد أن يفخم أمر المحدثين لأن هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلف ، وبرئ من العيوب كان في غاية الحسن والجودة [2] إن من الملاحظ على أبو هلال العسكري أنه استخدم بعض المصطلحات ضيقت مفهوم البديع وأخرجته من دائرته من هذه المصطلحات الإيجار، الازدواج، التشبيه.

1- أبو هلال العسكري كتاب الصناعتين تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ط1 ، 1981 ، ص291 ،482.

2- المصدر نفسه ، ص 294 .

إبـــــن رشيق القيرواني المتوفى سنة 463 هـ :

من أشهر كتب إبن رشيق كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه الذي يعد بحق ثمرة طيبة لجهود من سبعة من العلماء ، حيث أجاد تصنيفه ، وتهذيب ما تناوله سابقوه ، وانفرد ببعض أنواع البديع التي لم يسبقها إليها أحد وهي : التورية ، الترديد ، التفريع ، الاستدعاء ، التكرار ، ونفي الشيء بإيجابه ، الإطراء ، الاشتراك ، التطاير ، ويستخدم ابن رشيق مصطلحات المخترع ، البديع ، والتوليد في معان مختلفة فالمخترع من الشعر ما لم يسبق إليه قائله ولا عمل احد من الشعراء قبله نضيره أو ما يقرب منه كقول امرئ القيس :

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو الماء حالا على حال.

فإنه أول من طرق هذا المعنى وابتكره وسلم الشعراء إليه فلم ينازعه أحد إياه.

وفي فن المخترع قوله طرفه :

يشق حباب الماء حيزومهابها كما قسم الترب المفائل باليد .

وأما التوليد فهو أن يستخرج معنى من معنى شاعر تقدمه ، أو يزيد فيه زيادة [1] ومن أمثلته قول عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة وقيل " وضاح اليمين "

فاسقط علينا كسقوط النوى ليلة لأناه ولا زاجر

وأما الذي فيه زيادة كقول جرير يصف الخيل

يخرجن من مستطير النقع دامية خان أذانها أطراف أقلام

وأما الإبداع فهو إتيان الشاعر بالمعنى المستطرف، الذي لم تجر العادة بمثله، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وإن كثر وتكرر، فصار الاختراع للمعنى، والإبداع اللفظ فإذا تم الشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ البديع فقد استولى على الأمد، وحاز قصب السبق "[2] .

1- إبـن رشـيق القيروانـي العمـدة فـي محاسـن الشـعر وآدابـه ، تحقيـق محـي الـدين عبـد الحميـد ، ط4 ، مكتبـة دار الجيل بيروت ، 1972 ، ص 262.

2- المصدر نفسه ، ص256.

يفهم مـن هذا النص السابق أن البديع في نظر إبن رشيق القيرواني صار خاصا باللفظ في مقابل الاختراع الذي خاصه بالمعنى.

كما أضاف ابن رشيق بعض الألوان التي لا تمت بصلة إلى البديع مثــل : باب الحشو وفضول الكلام وباب الاستدعاء وغيرها ، مما يدل على أن البديع عنده كما هو عند سابقيه شامل لعناصر الحسن الأدبي من غير تفريق أو محاولة لتحديدها على علوم البلاغة الثلاثة .

إبن سنان الخفاجي المتوفى 466 هـــــ :

كان لابن سنان تأثير واضح في تطور الفكر البلاغي والنقدي عند العرب ، وظهر ذلك التأثير في دراسته للبديع ، فقد تأثر بمنهج قدامة بن جعفر وطريقته في نقد الشعر وتابعه في كثير من تعاريفه ومصطلحاته .

أما أنواع البديع التي تناولها في كتابه سر الفصاحة فهي الأنواع نفسها التي طرحها سابقوه في كتبهم وهذه الأنواع هي أحسن الاستعارة ، الحشو ، التوشيح أو التسهيم ، حسن الكناية ، السجع والازدواج ، والتصريع، الجناس ، والمطابقة ، والتبديل، والإيجاز والاختصار، وحذف فضول الكلام التمثيل ، والصحة في التقسيم ، صحة التشبيه ، وصحة المقابلة في المعاني ، وصحة التناسق والنظم ، وهو ما يعرف عند المحدثين بحسن التخلص ، وصحة التفسير ، كمال المعنى و يسمى عند قدامة التميم والمبالغة في المعنى والغلو ، التحرز مما يوجب الطعن ، الاستدلال بالتمثيل الاستدلال بالتعليل ، تلك هي الألوان البديعية التي تناولها ابن سنان ، والملاحظ أنها الألوان مسبوق بها سوى الاستدلال بالتعليل وهو ما يعرف عند عبد القاهر الجرجاني بحسن التعليل .

وكان له الفضل في ابتكاره ويعد أول من تحدث عن حسن التعليل من البلاغين بعد أبي هلال العسكري الذي أدرجه تحت اسم استشهاد والاحتجاج «[1]».

1- إبن سنان القفاجي ، كتاب سر القصاحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 1982 ص 118.

أســـــامة بن منتقذ المتوفى سنة 584 هـــــ :

ألف أسامة بن منقذ كتابه البديع في نقد الشعر، وقد إشتمل على خمسة وتسعين لونا من ألوان البديع، اعتمد فيها علـــى من سبقـــه من العلماء، يقول في مقدمة كتابه : " هذا كتاب جمعت فيه ما تفرق في كتب العلمـــاء المتقدميـــن المصنفة في نقد الشعر ، وذكر محاسنه وعيوبه ، فلهم فضيلة الابتداع ، ولي فضيلة الإتباع والذي وقفت عليه : كتاب البديع ابن المعتز وكتاب الحالي للحاتمي ، وكتاب المحاضرة للحاتمي ، وكتاب الصناعتين للعسكري ، وكتاب اللمع للعجمي وكتاب العمدة لابن رشيق ، فجمت من ذلك أحسن أبوابه ، وذكرت منه أحسن مثالته ، ليكون كتابي مغنيا عن هذه الكتب لتضمنه أحسن ما فيها "[1] .

ثم بدأ كتابه بفهرس شامل للألوان التي إشتمل عليها بدأه بالتجنيس المغاير وختمه بالتهذيب ، ثم قال " فيكون من جملة ما إشتمل عليه كتابنا هذا خمسة وتسعين بابا "[2] .

ومن الألوان التي ذكرها في كتابه : التجنيس ، التطبيق ، العكس ، التتميم ، التورية التجزئة التفسير ، الاستخدام ، التجاهل ، المبالغة ، الاستعارة ، التصدير ، الاستطراء ، الاحتراس، المساواة التذيـيل ، الكناية ، الإشارة مما يدل على أن كلمة بديع عنده مازالت ترادف كلمتي بيان وبلاغة .

1- أسامة بن منقذ البديع في نقد الشعر تحقيق أحمد أحمد بدوي ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر: د ت ، ص 8.

2- المصدر السابق ص 11.

السكاكـــي المـــــتوفى 627 هـ :

ألف السكاكي كتاب أسماه مفتاح العلوم وجزأه ثلاثة أجزاء وهي : الجزء الأول أفرده لعلم الصرف والجزء الثاني خصه بعلم النحو أما الجزء الثالث فقد أوضح فيه علمي المعاني والبيان ، وهو أكبر الأقسام وأكثرها شهرة وقد سار في دراسة هذين العلمين على منهج يتخذ من الفلسفة والمنطق وعلم الكلام أساسا يبني عليه التعريف ثم يوضح الغرض لكل منهما وكان ذلك في مقدمة وفصلين تكلم فيهما عن وسائل هذين العلمين وما يتعلق بهما من أمور تتصل بالفصاحة والبلاغة .

وبعد أن أنهى ذلك قال وإذا تقرر أن البلاغة بمرجعيها وإن الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلة التزين ويرقيه أعلى درجة تحسين الكلام فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها وهي قسمان:قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى اللفظ "1" .

فالسكاكي لم يجعل البديع علما مستقلا كعلمي المعاني والبيان ، ولم يطلق على ما ذكره مصطلح بل عدها وجوها مخصوصة لقصد تحسين الكلام ، ومن ثم قسمها إلى قسمين ، قسم يرجع إلى المعنى ، وأخر يرجع إلى اللفظ ، و أخذ الألوان التي تنطوي تحت كل قسم ، فمن القسم الأول المطابقة ، المقابلـــة ، التقسيم ، المشاكلـــة ، اللف والنشـــــر ، والجمع والتقسيم ، والجمع مع التقسيم والتفريق ، والإيهام ، وتأكيـــد المدح بما يشبـــــه الذم والتوجيـــه ، وســـوق المعلوم مساق غيره ، الاعتراض ،الاستتباع ، الالتفات وتقليل اللفظ ولا تقليله "2" .

1- السكاكي ، مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1 ، 1983 ، ص 423 .

2- المصدر السابق، المصطلحات، ص، 423، 428.

و من القسم الثاني: الجنـــــــاس والسجع ورد العجز على الصدر... وبذلك فالسكاكي يتناول هذه الألوان تناولا موجزا فهو لا يفعل أكثر من أن يقدم تعريفا لها ثم يردفه بمثال أو مثالين دون أن يقف ليحلل هذه الأمثلة ويكشف عما فيها من جمال وروعة الأداء على نحو ما فعل مثلا عبد القاهر الجرجاني ، ويعلق شوقي ضيف على ذلك فيقول : "... وإنما نجد في الدقة والقدرة البارعة على التبويب والإحاطة الكاملة بالأقسام والفروع ، غير أن ذلك عنده لم يشفع بتحليلات عبد القاهر الجرجاني والزمخشري التي كانت تملأ نفوسنا إعجابا، فقد تحولت البلاغة في تلخيصه إلى علم بأدق المعاني لكلمة علم ، فهي قوانين وقواعد تخلو من كل ما يمتع النفس إذ سلط عليها المنطق بأصوله ومناهجه الحادة ، حتى في لفظها وأسلوبها الذي لا يحوي أي جمال ، وما للجمال وللسكاكي ؟ أنه بصدد وضع قواعد وقوانين كقوانين النحو وقواعده وهي قواعد وقوانين تسبك في قواعد جافة أشد ما يكون الجفاف"[1].

والملاحظ أن السكاكـــــي لم يعرض لهذه الألوان على أنها علم مستقل عن العلمين الآخرين وإنما هي أنواع تشترك في مسائل المعاني والبيان لتزيين الكلام وتحسينه .

نستنتج أن مما سبق أن مصطلح البديع يدور معناه حول التحسين والتزيين في اللفظ والمعنى، فحسن اللفظ من حيث الصوتي وحسن الكلمة من حيث أدائها لمعناها، ويزداد حسن أداء الكلام لمعناه بتأثير الرنين الصوتي كما يتضح في الجناس والسجع والتصريع والترصيع ، وغير ذلك من ألوان البديع ، ولتحقيق الجمال والحسن في هذه الأنواع لابد من أن يتحقق الاتصال بالمعنى دائما ، إذ انقطاع الاتصال يؤدي إلى فساد البديع فيصبح مرذولا غير مقبول ، لذلك كانت وجوه التحسين راجعة إلى تحسين المعنى أصالة مع تحسين اللفظ تبعا ، أو راجعة إلى تحسين اللفظ "[2].

1- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ شوقي ضيف، دار المعارف، ط6، د ت، ص 288.

2- محمود أحسن المراغي في البلاغة العربية علم البديع ، دار العلوم العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1991 ص 11.

الفصل الثاني

البديع عند ضياء الدين ابن الأثير

- **المبحث الأول:** نبذة عن حياة الكاتب إبن الأثير ومنهجه في كتابة المثل السائر.

- **المبحث الثاني** : البديع عند ضياء الدين إبن الأثير.

حـــــــياتـــــه:

هو أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجرزي الملقب بضياء الدين .

كان مولده بجزيرة ابن عمر ونشأ بها ، وانتقل مع والده إلى الموصل ، و بها اشتغل وحصل العلوم وحفظ كتاب الله الكريم ، وكثيرا من الأحاديث النبوية ، وطرفا صالحا من النحو واللغة وعلم البيان وشيئا كثيرا من الأشعار .

ولما كملت لضياء الدين المذكور الأدوات قصد جناب الملك الناصر صلاح الدين تغمده الله برحمته في شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، فوصله القاضي الفاضل بخدمة صلاح الدين في جمادى الآخرة من تلك السنة وأقام عنده إلى شوال من السنة ، ثم طلبه والده الملك الأفضل نور الدين من ولده فخيره صلاح الدين بين الإقامة في خدمته ، والإنتقال إلى ولده ويبقى المعلوم الذي قرره له باقيا عليه ، فاختار ولده ، فمضى إليه ، وكان يومئذ شابا ، فاستوزره ولده الملك الأفضل نور الدين على المقدم ذكره رحمه الله تعالى وحسنت حاله عنده .

ولما توفي سلطان صلاح الدين ، واستقل ولده الملك الأفضل بمملكة دمشق استقل ضياء الدين المذكور بالوزارة ، وردت أمور الناس إليه وصار الاعتماد في جميع الأحوال عليه ، ولما أخذت دمشق من الملك أفضل ، وانتقل إلى صرخد وكان ضياء قد أساء العشرة من أهلها ، فهموا بقلته فأخرجه الحاجب بن عجم مستخفيا في صندوق مقفل عليه ، ثم سار إليه ، وصحبه إلى مصر لما استدعى لنيابة ابن أخيه الملك المنصور "[1]".

1- ضياء الدين ابن الأثير : المثل السائد في أدب الكاتب والشاعر قدمه احمد الحوتي، بدوني طباقة ، دار النهضة مصر الفجالة القاهرة ، د ت ، د ط . ص 28.27.

ولضياء الدين من التصنيف الدالة على غزارة فضله وتحقيق كتابه الذي سماه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر وهو في مجلدين جمع فيه فأوعى ولم يترك شيئا يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره ولما فرغ من تصنيفه كتبه الناس عنه فوصل إلى بغداد منه نسخة.

وله كتاب الواشي المرقوم في حل المنظوم ، وهو مع وجازته في غاية الحسن والإفادة وله كتاب المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء ، وهو أيضا نهاية في بابه .

وله مجموع اختار فيه لشعر أبي تمام ، والبحتري وديك الجن والمتنبي وهو في مجلد واحد كبير .

وله أيضا ديوان ترسل في عدة مجلدات.

وذكر أبو البركات بن المستوفي في تاريخ إربل وبالغ في الثناء عليه وقال ورد إربل في شهر ربيع الأول سنة 611 هـ وكانت ولادته بجزيرة ابن عمر في يوم الخميس والعشرين من شعبان سنة 558 هـ وتوفي في إحدى الجمادين سنة 637هـ ودفن ببغداد وقد توجه إليها رسولا من جهة صاحب الموصل وصلى عليه من الغد بجمع القصر ودفن بمقابر قريش في الجانب الغربي بمشهد موسى بن جعفر رضي الله عنهما .

ولضياء الدين أخوان نابهان مجد الدين أبو السعادات المبارك ، وأبو الحسن على الملقب عزالدين ، وكان الإخوة الثلاثة فضلاء نجباء رؤساء ، لكل واحد منهم تصانيف نافعة رحمهم الله تعالى ."[1]

2- *المصدر السابق، ص28.29 .*

منهـــج ابن الأثير :

كتاب المثل السائر يشمل على مقدمة تحتوي على أصول علم البيان ، ومقالتين حيث تحدث في المقالة الأولى عن الصناعة اللفظية وفي المقالة الثانية عن الصناعة المعنوية وقد تكلم ابن الأثير في القسم الثاني من المقالة الأولى ، في الألفاظ المركبة ، حيث عرض هذا القسم لألوان البديع اللفظي إذ قال " واعلم أن إضافة تأليف الألفاظ تنقسم إلى ثمانية أنواع هي :

1-**السجع:** ويختص بالكلام المنثور.

2-**التصريع:** يختص بالكلام المنظوم وهو داخل في باب السجع لأنه في الكلام المنظوم في الكلام المنثور.

3-**التجنيس** : وهو يعم القسمين جميعا .

4-**التصريع** : وهو يعم القسمين جميعا .

5-**لزوم مالا يلزم:** وهو يعم القسمين أيضا.

6-**الموازنة:** تختص بالكلام المنثور.

7-**اختلاف صيغ الألفاظ:** ويعم القسمين جميعا.

8-**تكرير الحروف** : وهو يعم القسمين جميعا [1].

ثم تطرق لها بالشرح والتحليل فأبان عن منزلة كل واحد منها وسر الفصاحة فيه ، ثم تحدث في المقالة الثانية عن إضافة المعنوية وبين أنها تنقسم إلى قسمين : الأولى منهما في الكلام على المعاني مجملا ثم قسمه إلى قسمين أحدهما: أن يبتدعه مؤلف للكلام من غير أن يقتدي فيه بمن سبقه [2].

1- السائر إبن الأثير السائر، ص 307، 308.

2- المثل السائر، ص 07.

وهذا النوع قد يعثر عليه ضد الحوادث المتجددة ويتنبه له عند الأمور الطارئة فمن ذلك قول أبي تمام .

بكروا و أسروا في متون ضوامر قيد ت لهم من مربط النجار

لا يبرحـــون ومن راءهم خالـهم أبدا على سـفر من الأسـفار

قال وهذا المعنى مما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة والخاطر في مثل هذا المقام ينساق إلى المعنى المخترع من غير كبير كلفة، الشاهد الحال الحاضرة [1] .

وثانيهما " وهو الذي يحتذي فيه على مثال سابق ومنهج مطروق [2].

والثـاني فـي الكـلام مجمـلا ، وقـد عـد تحتـه ثلاثـين نوعـا وهـي الاسـتعارة ، والتشـبيه التجريـــد ، الإلتفـــات ، توكيـــد الضـــميرين ، وعطـــف المظهـــر علـــى ضـــميره والإفصـــاح بـــه بعـــده ، والتفســـير بعـــد الإيهـــام ، واســـتعمال العـــام فـــي النفـــي والخـــاص فـــي الإثبـــات والتقـــديم والتـــأخير ، والحـــروف العاطفـــة والجـــارة ، وفـــي الخطـــاب بالجملـــة الفعليـــة والجملـــة الاســـمية والفـــرق بينهمـــا، وقـــوة اللفـــظ لقـــوة المعنـــى وعكـــس الظـــاهر ، والاســـتدراج والإيجـــار و الإطنـــاب ، والتكـــرار ، الاعتـــراض ، والكنايـــة والتعـــريض والمغالطـــات المعنـــوي والأحـــاجي وفـــي المبـــادئ والافتتاحـــات ، الـــتخلص والاقتضـــاب ، والتناســـب بـــين المعـــاني ويحتـــوى علـــى المطابقـــة أو المقابلـــة وصـــحة التقســـيم وفســـاده وترتيـــب التفســـير والاقتصـــاد والتفـــريط والإفـــراط ، والاشـــتقاق والإرصاد والتوشيح وأخيرا في السرقات الشعرية .

1- المثل السائر، ص 11، ج 2.

2- المصدر نفسه ، ص 61.

ثم تطرق لها بالشرح والتحليل معتمدا في ذلك على شيئين الذوق والتعليل القائم على العلم والتوجيه الحسن وهو ما يؤكد عليه في مقدمة كتابه فيقول " و اعلم أيها الناظر في كتابي أن مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم الذي هو أنفع من ذوق التعليم"[1] ويقول وملاك هذا كله الطبع فإنه إذا لم يكن ثم طبع فانه لا تغني تلك الآلات شيئا" "[2] .

و يلاحظ أن ابن الأثير لا يختفي في النقد الأدبي بحكم المعرفة المستنيرة، وإنما يحكم على الذوق السليم الذي يرى أنه أكبر من حكم القاعدة الموضوعة والمعرفة الضيقة المحددة.

لذلك شن حملة عنيفة على المنطق والفلسفة ورأى رجالها أمثال ابن سينا والفارابي رجالا مغرورين أظلهم أرسطو وأفلاطون كما أن طريقة إبن الأثير في الكتابة أخذت إتجاها مغايرا لمفهوم الدراسة التقعيدية فهي تقوم على دعامتين :

الدعامة الأولى : دراسة قاعدية ، عنى فيها بالحدود و التعاريف وحصر الأقسام وجمع فيها كل ما استطاع جمعه من معالمها التي اهتدى إليها الذين سبقوه إلى البحث البلاغي .

الدعامة الثانية: دراسة نقدية، وفيها ألم بكثير من العيوب التي يقع فيها مستعملو تلك الفنون في أشعارهم أو خطبهم أو كتاباتهم"[3].

ومن ذلك يمكن القول أن كتاب المثل السائر جمع كثيرا من أصول البلاغة العربية والنقد الأدبي، وإنه وحد هذين الفنين الجماليتين ومنجهما وطبعهما بسمات تظهره من بين الذين عاصروه من أصحاب الأسلوب القاعدي الجاف وخلطهما بنصوص الآداب وأراء كان في أكثرها موقفا مجيدا .

1- المثل السائر: ص 48.

2- المصدر نفسه : ص 55 .

3- المصدر نفسه،ج1، ص 31.

البـــــديع عند ابـــــن الأثـــير :

لقد نحا ابن الأثير بالبلاغة منحى أساسه التعريف بصناعة الكتابة فقسم الكتابة إلى مقالتين:

المقالـة الأولـى : في الصناعة اللفظية وتحدث في القسم الثاني منها عن الألفاظ المركبة حيث عرض في هذا القسم لأنواع البديع اللفظي ، وتحدث في المقالة الثانية عن الصناعة المعنوية فجمع بهذا العمل مسائل البيان والمعاني والبديع في تلك المقالتين لذلك نحاول جمع ما تفرق في أنحاء الكتاب من أنواع التي اشتهر بها علم البديع .

أولا: **المحسنات المعنوية:**

التناسب بين المعاني: الـطبـــاق:

وقد قسمه إلى ثلاثة أقسام :

النـوع الأول : المطابقة وتسمى البديع أيضا وهو في المعاني ضد التجنيس في الألفاظ لأن التجنيس هو أن يتحد اللفظ مع اختلاف المعنى ، وهذا أن يكون المعنيان ضدين .

ويبين ابن الأثير أن أرباب هذه الصناعة قد أجمعوا على المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده كالسواد والبياض ، والليل والنهار ، إلا أن قدامة بن جعفر قد خالفهم في هذا فقال المطابقة إيراد لفظين متساويين في البناء والصيغة ، مختلفين في المعنى وهذا الذي ذكره هو التجنيس بعينه غير أن الأسماء لا مشاحة فيها إلا أنها كانت مشتقة"[1] .

1- المصدر نفسه : ج 3 ، ص 171.

ثم يذكر ابن الأثير أن غير قدامة من حذاق هذه الصناعة قد سموا هذا الضرب من الكلام مطابقا لغير اشتقاق بينه وبين مسماه إلا أن يكونوا قد علموا مناسبة لم يعلمها ابن الأثير ثم يبين أن الأليف من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع بالمقابلة، لأنه لا يخلو الحال فيه من وجهين:

فأما الأول هو مقابلة الشيء بضده كالسواد والبياض و ما جرى مجراهما فإنه ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: مقابلة في اللفظ المعنى كقوله تعالى: "فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ "[1] فقابل الضحك والبكاء والقليل والكثير.

وكذلك قوله وتعالى:" لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ "[2] ، ويقول هذا أحسن ما جاء في هذا الباب.

وأما الأخر فهو مقابلة في المعنى دون اللفظ:

فقد مثل لها بقول المقنع الكندي من شعراء الحماسة:

لهم جل مالي إن تتابع لي وإن قل مالي لا أكلفهم رفدا.

فقوله :"تتابع لي غنى بمعنى قوله : كثر مالي ، فهو إذا مقابله من جهة المعنى لا من جهة اللفظ لأن حقيقة الأضداد اللفظية إنما هي في المفردات من الألفاظ، نحو قام قعد وقل وكثر فالقيام ضد القعود والقليل ضد الكثير ، فإذا ترك المفرد من الألفاظ وتوصل إلى مقابلته بلفظ مركب كان ذلك مقابلة من جهة المعنى لا من جهة اللفظ ، وهذا مقابلة معنوية لا لفظية "[3] .

1- سورة التوبة، الآية 82.

2- سورة الحديد، الآية 23.

3- المثل السائر، ج3، ص 179.

أما مقابلة الشيء بما ليس بضده فإنها ضربان:

الضرب الأول يتفرع إلى فرعين :

الفرع الأول: ما كان بين المقابل والمقابل نوع مناسبة وتقارب.

كـــــقول قريط بن أنيف :

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا. "1" .

فقابل الظلم بالمغفرة، وليس ضدا لها وإنما ضد العدل، إلا أنه لما كانت المغفرة قريبة من العدل حسنت المقابلة بينهما وبين الظلم "2" ، ومثله قوله وتعالى: " أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ "3" .

فالرحمة ليست ضد الشدة وإنما ضد شدة اللين إلا انه لما كانت الرحمة من مسببات اللين حسنت المقابلة بينهما وبين الشدة "4" .

1- *المثل السائر، ج 3، ص 180.*

2- *المصدر نفسه ص 180.*

3- *سورة الفتح، الآية 29.*

4- *المصدر نفسه ، ص 180.*

الفرع الثاني: ما كان بين المقابل والمقابل به بعد وهذا مما لا يسحن استعماله كقول أبي الطيب المتبني:

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها سرور محب أو إساءة مجرم.

فإن المقابلة بين المحب والمبغض، لا بين المحب والمجرم، إذا ليس كل من أجرم إليك كان مبغضا لك.

ومما يتصل بهذا الضرب ما يسميه ابن الأثير المؤاخاة بين المعاني والمؤاخاة بين المباني.

أما المؤاخاة بين المعاني فهو أن يذكر المعنى مع أخيه ، لا مع الأجنبي و مثاله : أن تذكر وصفا من الأوصاف وتقربه بما يلتئم به ، فإن ذكرته مع ما يبعد كان ذلك قدحا في الصناعة .

و إن كان جائزا قول الشاعر:

و قد حلفت يمينا مـبررة لا تكـــــــذب.

برب زمزم و الحو ض و الصفا المحصب .

لأن ذكر الحوض مع زمزم، و الصفا المحصب غير مناسب، وإنما يذكر الحوض مع الصراط والميزان وما جرى مجراها.

أما المؤاخاة بين المباني فإنه يـلحق بالألفاظ [1] ، فمن قوله أبي تمام في وصف الرماح :

مثقفات سلبن العرب سمرتها والروم رزقتها والعاشق القضفا.

1- المثل السائر، ص 174.

ويقـول : وهـذا البيـت مـن أبيـات أبـي تمـام الأفـراد ، غيـر أن فيـه نضـرا ، وهـو قـول العـرب والـروم ، ثـم قـال العاشـق ولـو صـح أن يقـول العشـاق لكـان أحسـن ، إذا كانـت الأوصـاف تجري على نهج واحد وكذلك قوله سمرتها وزرقتها ثم قال القضفا .

وكـان ينبغـي أن يقـول قضـفها أو دقتهـا "[1] ، وفـي الحقيقـة نجـد أبـن الأثيـر يـرى أن المؤاخـاة بين المباني ليست محسنا للكلام وقد عاب قبل ذلك بيت أبي تمام لأنه لم يلتزم بها .

الضرب الثاني: في مقابلة الشيء بمثله ويتفرع إلى فرعين:

الفــرع الأول: مقابلــة المفـرد بـالمفرد قولــه تعـالى: " وَجَـزَاءُ سَـيِّئَةٍ سَـيِّئَةٌ مِثْلُهَـا "[2]، وقولــه تعالى: "صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً " «3».

الفرع الثاني: مقابلة الجملة بالجملة.

يـرى ابـن الأثيـر الجملـة فـي الكـلام إذا كانـت مسـتقبلة قوبلـت بمسـتقبلة وان كانـت ماضـية قوبلـت بماضية وربما قوبلت الماضية بالمستقبلة والمستقبلة بالماضية إذا كانت إحداهما في معنـى الأخرى "[4] ، ويمثـل لهـذا أنـواع بقولـه تعـالى: " قُلْ إِن ضَـلَلْتُ فَإِنَّمَـا أَضِـلُّ عَلَـىٰ نَفْسِـي ، وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَـا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي " "[5] ، فالتقابل في هذه الآية من جهة المعنى ، ولو كان التقابل من جهة اللفظ لقال وإن اهتديت فإنما اهتدى لها ، وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى هو أن النفس كل ما عليها فهو بها .

1- *المثل السائر 3، ص 184، 185.*

2- *سورة الشورى: الآية 40.*

3- *سورة البقرة:الآية 138.*

4- *المثل السائر 3، ص 190.*

5- *سورة سبأ، الآية 90.*

القسم الثاني: من التناسب بين المعاني في صحة التقسيم وفساده "[1] .

أشار ابن الأثير في بداية كلامه من هذا القسم أنه لا يريد بصحة التقسيم هاهنا ما تقتضيه القسمة العقلية كما عنا بها المتكلمون وإنما يريد به ما يقتضيه المعنى مما يمكن وجوده من غير أن يترك منها قسما واحدا ، فتارة يكون التقسيم بلفظة أما وتارة يكون بلفظة بين وتارة بلفظة منهم .

ومما جاء من هذا القسم قوله وتعالى: " ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ "[2] .

يقول هذه قسمة صحيحة لأنه لا يخلو أقسام العباد من هذه الثلاثة فأما عاصي الظالم لنفسه وأما مطيع مبادر إلى الخيرات، وأما مقتصد بينها [3] .

وعند قوله تعالى " هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا [4] ' لأن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع وليس هناك قسم الثالث .

و من التقسيم ما روي أن أعرابيا وقف على مجلس الحسن البصري فقال : رحم الله عبدا أعطى من سعة أو أمسك من كفاف أو أثر من قلة ، فقال الحسن البصري ما ترك لأحد عذرا .

ومن شرط التقسيم عند ابن الأثير أن لا تتداخل أقسامه بعضها ببعض وهو مأخوذ عن قدامة في نقد الشعر [5] .

1- *المثل السائر، ج3، ص 190.*

2- *سورة فاطر، الآية 32.*

3- *المثل السائر، ج3، ص 194.*

4- *سورة الرعد ، الآية 12 .*

5- *قدامه بن جعفر، نقد الشعر، ص 139.*

ويلاحظ ان ابن الأثير تحدث عن صحة التقسيم الذي أخذه عن قدامة بن جعفر فأحاط بمفهومه وشروطه.

القسم الثالث: التناسب بين المعاني في ترتيب التفسير.

يبين إبن الأثير مقصده من هذا النوع بأن صحة الترتيب يقصد بها أن يذكر في الكلام معان مختلفة فإذا أعيد إليها بالذكر لتفسير قدم المقدم و أخر المؤخر وهو الأحسن ، إلا أنه قد ورد في القرآن الكريم وغيره من الكلام الفصيح ، ولم يراع فيه تقديم المقدم ولا تأخير المؤخر .

كقوله تعالى : " أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ "[1] .

فلو قدم التفسير المقدم في هذه الآية وأخر تفسير المؤخر لـــقيل إن نشأ نسقط عليهم كسفا من السماء أو نخسف بهم الأرض [2].

و يلاحظ مما تقدم أن ابن الأثير قد ألم بصحة التقسيم وفساده ، وترتيب التفسير وفساده ، قد الم بهما عند قدامة بن جعفر إلا أنه لم يذكر صحة التفسير واستعاض عنها بترتيب التفسير مع أنه يقول :" أن فساد التفسير أقبح من فساد ترتيبه " [3].

1- سورة سبأ، الآية 9.

2- المثل السائر، ج3، ص 200.

3- المثل السائر، ج 3، ص 204.

الإرصـــــاد أو التسهـــيم :

ويعرفه بقوله "" وأن يبني الشاعر البيت من شعره على قافية قد أرصدها له أي أعدها في نفسه فإذا أنشد البيت عرف ما يأتي في قافيته [1] ، ثم يذكر أن ذلك محمود الصفة لأن الكلام ما دل بعضه على بعض ، ثم يبدأ ابن الأثير في التمثيل لهذا النوع البديعي بما جاء منه شعرا ويختمه بما جاء منه نثرا فما جاء منه شعرا قول النابغة :

فـــداء لمريء سارت إليه بعــذرة ربــها عم وخالي .

ولو كفى اليمين نفتك خونا لأفردت اليمين عن الشمال .

ومنه يقول تعالى : " مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ، وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ " [2]، فإذا وقف السامع على قوله عز وجل وأن أوهن البيوت يعلم أن بعده بيت العنكبوت .

يلاحظ مما يقدم أن تعريف ابن الأثير للإرصاد لم يكن دقيقا لأنه خصه بالشعر حيث قال: أن يبني الشاعر البيت من شعره على قافية قد أرصدها له ، أي أعدها في نفسه ، فإذا أنشد صدر البيت عرف ما يأتي به في قافيته [3].

1- المثل السائر، ج 3، ص245.

2- سورة العنكبوت، الآية 41.

3- المثل السائر، ص 146-246.

أما تسميته بالإرصاد فقد إنفرد به ابن الأثير، ولعل أول من نبه إليه عبد الله بن المقفع بقوله :" عندما سئل عن البلاغة وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك كما أن خير أبيات الشعر الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته " [1]، ولم يسمه أما قدامة فسماه التوشيح [2] ، وجاراه في التسمية كل من أبي هلال العسكري والباقلاني وأطلق عليه ابن رشيق التسهيم متابعا في ذلك على بن هارون المنجم [3] .

التـــــوريـــــة:

يسمى إبن الأثير هذا النوع باسم المغالطات المعنوية وعرفه بقوله:" أن يذكر معنى من المعاني له مثل في شيء أخر و نقيض، والنقيض أحسن موقعا وألطف مأخذا "[4].

ثم يبين أن الذي يكون له مثل يقع في الألفاظ المشتركة من ذلك قول أبي الطيب:

يشـــــلهم بكل أقـــب نهد لفراسه على الخيل الخيار.

وكل أصم بعسل جانبـــاه على الكعبين منه دم حمار.

1- *الجاحظ : البيان والتبيين 1 ، ص 117.*

2- *قدامه بن جعفر، نقد الشعر ص 167.*

3- *شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ص 149.*

4- *المثل السائر، ج 3، ص 91.*

وقد أخذ ابن الأثير التسمية من قول عبد القاهر الجرجاني وكقوله الذي لأحملنك على الأدهم ، يريد القيد ، فقال على سبيل المغالطة ، ومثل الأمير يحصل على الأدهم والأشهب فالمراد بالأدهم ، القيد والفرس الذي فيه سواء وقد حمله على المعنى الأول فكل منهما قد حصل ذلك اللفظ على خلاف مراد الأخر .

التـــــــجريد:

وعرفه بقوله : " إخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك لا المخاطب نفسه ويبين سر هذه التسمية ، فبين أن أصله في وضع اللغة من جردت السيف إذا نزعته من غمده ، وجردت فلانا إذ نزعت ثيابه ثم نقل هذا المعنى إلى نوع من أنواع علم البيان "[1] .

فابن الأثير وجد للتجريد فائدتين:

الفائدة الأولى:

طلب التوسع في الكلام، لأنه إذا كان ظاهره خطابا لغيرك وباطنه خطابا لنفسك كان ذلك من باب التوسع.

الفائدة الثانية :

وهي أبلغ أن المتكلم يتمكن من جراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه إذ يكون مخاطبا بها غيره ليكون أعذر وأبرأ فيما يقوله غير محجور عليه .

قسم ابن الأثير التجريد إلى قسمين: محض وغير محض.

1- *المثل السائر، ج 2، ص 169.*

التجريد المحض وعرفه " بقوله أن تأتي بكلام لغيرك وأنت تريد به نفسك ، وهذا القسم ينطبق على تعريف ابن الأثير للتجريد"[1] وقد قسمه إلى قسمين :

القسم الأول: ما يمكن به تمكين المتكلم من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه، وقد مثل له بقول الشاعر:

إلام يراك المجد في زي شاعر وقد تخلت شوقا فروع المنابر .

كتمت بعيب الشعر حلما وحكمة ببعضهما تنقاد صعب المفاخر.

أما وأبيك الخير انك فارس الـ مقال ومحيي الدراسات الغوا بر.

وأنك أعييت المسامع والنهى بـــــقولك عما في بطون الدفاتر.

فقد أجرى الشاعر الخطاب على غيره وهو يريد نفسه ليتمكن من ما ذكره.

النوع الثاني: ما قصد به التوسع خاصة ومنه قول الشاعر.

حننت إلى ريا ونفسك باعــدت مازارك من ريا وشعبا كما معا .

فما حسن إن تأتي الأمر طائعا وتجزع أن داعي الصبابة إسمعا.

ثم يقول إبن الأثير: وقد ورد بعد هذين البيتين ما يدل على أن المراد بالتجريد فيهما التوسع لأنه قال:

وأذكر أيـــــام الحمـــى ثم أنثـى على كبد خشية أن يتصدها .

بنفسي تلك الأرض مــا أطيب الربا وما أحسن المصطف والمتربعا.

1- المثل السائر،ج2، ص 180.

فانتقل من الخطاب التجريدي إلى خطاب النفس ولو استمر على الحالة الأولى لما قضى عليه بالتوسع وإنما يقضي عليه بالتجريد البليغ الذي هو الطرف الآخر وهذا النوع هو التفات من المخاطب إلى المتكلم .

أما القسم الثاني: فهو تجريد غير محض، فهو خطاب للنفس لا للغير ومن أمثلته:

أقول لها وقد جشأت وجاشت رويدك تحمد أو تستريحي .

عكـــــس الظـــــاهر :

وقد عرفه ابن الأثير بقوله هو نفي الشيء بإثباته وعده من مستطرفات علم البيان، ذلك لأنك تذكر كلاما يدل ظاهره أنه نفي لصفة موصوف، وهو نفي للموصوف أصلا [1]، ومن أمثلة هذا النوع قول الشاعر الباهلي :

لا تفزع الأرنب أهوالها ولا ترى ذنب بها ينجحر.

فظاهر المعنى من البيت أنه كان هنالك ضب و لكنه ليس منجحر ، وليس الأمر كذلك ، لأن المعنى انه لم يكن ضب أصلا .

وسبب قلة هذا النوع من الكلام يقول ابن الأثير " أن الفهم يأباه ولا يقبله إلا بقرينه خارجة عن دلالة لفظه لمعناه، وما كان عاريا عن قرينة فإنه لا يفهم منه ما أراد قائله [2] .

ويقول ابن الأثير: « أنه مكث يطوف عن أقوال الشعراء قصد الظفر بأمثلة من الشعراء جارية هذا المجرى فلم يجد إلا بيتا لامرئ قيس هو [3] .

على لا حب لا يهتدى بمناره إذا ساقه العود الد يافي جرجرا .

فقوله لا يهتدي بمناره ظاهره انه له منارا ولكنه لا يهتدي به ، وليس الأمر كذلك بل وإنما المراد انه لا منار له فيهتدي به .

1- *المثل السائر، ج2، ص 169.*

2- *المثل السائر:ج 2، ص 290.*

3- *المثل السائر، ج 2، ص290.*

الاســـتدراج :

ويقول أنه استخرجه من كتاب الله تعالى وعرفه بقوله: " وهو من مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال "[1].

ويوضح أن مدار البلاغة فيه إنما تكمن في النكت الدقيقة التي يستخدمها في استدراج الخصم للأذعان والتسليم .

ويقول وقد ذكرت في هذا النوع ما يتعلم منه سلوك الطريق فمن ذلك قوله تعالى :" وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يكن كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ، وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ "[2] .

يقول ابن الأثير ألا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام وألطفه فانه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم ، فقال لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذبا فكذبه يعود عليه ولا يتعداه أو يكون صادقا فيصبكم بعض الذي يعدكم أن تعرضتم له "[3] .

ثم يقول " إنما قال يصبكم بعض الذي يعدكم " ، وقد علم أنه نبي صادق وأن كل ما يعدهم لابد وأن يصيبهم ، لا بعضه ذلك لأنه احتاج مقاولة خصوم موسى عليه السلام أن يسلك معهم طريق الإنصاف والملاحظة في قول ويأتيهم من جهة المناصحة ليكون أدعى إلى سكونهم إليه ، فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله وأدخل من تصديقهم إياه فقال : " وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ " وهو كلام المنصف في مقابلة المشط ، وذلك إنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادقا في جميع مايعد به لكنه أردف بقوله : " يصبكم بعض الذي يعدكم "

1- المثل السائر، ج 2، ص295.

2- سورة غافر، الآية 28.

3- المثل السائر، ج 2، ص 296.

ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا فضلا أن يتعصب له ، وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل [1] ، كأنه برطلهم في صدر الكلام بما يزعمونه لئلا ينفروا منه .

ويقول في آخر الآية ، لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله لنبوة ولاعضد بالبينات [2] وفيه خداع من الخصم واستدراجه مالا خفاء فيه .

قال تعالى :" وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ،يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا "[3] .

يقول إبن الأثير هذا الكلام يهز أعطاف السامعين، وفيه من الفوائد ما ذكره، وهو أنه لما أراد إبراهيم عليه السلام أن ينصح أباه ويعضه و ينقذه ما كان متورطا فيه من خطأ العظيم الذي عصى به أمر العقل رتب الكلام معه في أحسن نظام مع استعمال المجاملة واللطف والأدب الحميد ، والخلق الحسن مستنصحا في ذلك بنصيحة ربه ، وذلك أنه طلب منه أولا العلة في خطيئته على تماديه ، موقظ من غفلته لأن المعبود لو كان حيا سميعا بصيرا ، مقتدرا على الثواب والعقاب .

1- *المثل السائر: ج2، ص 298.*

2- *المثل السائر: ج2، ص 296.*

3- *سورة مريم ، الآية 41-45 .*

إلا أن بعض الخلق يستخف عقله من أهله للعباده ووصفه بالربوبية ولو كان أشرف الخلائق كالملائكة والنبيين فكيف بمن جعل المعبود جمادا لا يسمع ولا يبصر يعني به الصم ثم ثنى ذلك بدعوته إلى الحق مترفقا به ، فلم يسمي أباه بالجهل المطلق ، ولا نفسه بالعلم الفائق ، ولكنه قال إن معي لطائفة من العلم وشيئا منه وذلك علم الدالة على سلوك طريق ، فلا تستخف ، وهب إنني و إياك في مسير وعندي معرفة بهداية الطريق دونك فاتبعني أنجك من أن تضل ثم ثلث ذلك بتثبيطه عما كان عليه و نهبه ثم حذره من سوء العاقبة فلم يصرح بأن العقاب لاحق به ولكنه قال إني أخاف أن يمسك عذاب فنكر العذاب ملاطفة لأبيه، وصدر كل نصيحة من هذه النصائح بقوله " يا أبت توسلا واستعطافا ثم يقول وفي القرآن الكريم مواضيع كثيرة من هذا الجنس لاسيما في مخاطبات الأنبياء للكفار والرد عليهم "[1].

الإلـــــــتفات :

يرى إبن الأثير أن الالتفات خلاصة علم البيان وإليه تستند البلاغة وعنها يصنعن ،"[2] وهذا النوع مأخوذ من التفات الإنسان عن يمينه وشماله ويسميه الشجاعة العربية ، لأن الشجاعة هي الإقدام فالشجاع يركب مالا يستطيعه غيره ، ويتورد ما لا يتورده غيره ، وقد تكون التسمية مأخوذة من أن الشجاعة فيها مخاطرة وكذلك الانتقال من الكلام أو الخطاب أو الغيبة إلى معنى أخر فيه مخاطرة بفهم السامع ، وإن كان مما يجدد نشاطه وينبهه للإصغاء إلى ما يقال له من الكلام .

1- المثل السائر، ج 2، ص 299.

2- المصدر نفسه ، ص 299.

أقسام الالتفات عند ابن الأثير :

قسم ابن الأثير الالتفات إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول: الرجوع من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة.

أما الرجوع من الغيبة إلى الخطاب فقوله تعالى في سورة الفاتحة :"الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ "[1] ، حيث رجع من الغيبة إلى الخطاب إذ قال"إياك نعبد وإياك نستعين " بعد قول "الحمد لله رب العالمين " فعدل فيه من الغيبة إلى الخطاب ، لأن الحمد دون العبادة ، فأنت تحمد نظبرك و لا تعبده ، ولهذا استعمل لفظ الحمد لتوسيطه مع الغيبة في الخبر، فقال الحمد لله ولم يقل الحمد لك ، ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى الطاعات قال : إياك نعبد فخاطب بالعبادة تصريحا بها وتقريبا منه عن إسمه ، وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال[2]:"صراط الذين أنعمت عليهم"، فصرح بالخطاب لما ذكر النعمة ، ثم قال "غير المغضوب عليهم " عطافا على الأول، لأن الأول موضع تقرب من الله بذكر النعمة فلما صار إلى الذكر الغضب جاء باللفظ منحرفا عن ذكر الغاضب فأسند النعمة إليه لفظا وروى عنه ذكر الغضب تحننا ولطفا وهذه صورة من صور الإلتفات التي حضيت بالقبول عند البلاغين من بعده.

1- سورة الفاتحة، الآية 1-7.

2- المثل السائر، ج 2، ص 183-184.

ومما يندرج تحت الرجوع من الغيبة إلى الخطاب:

أ) الرجوع من خطاب الغيبة إلى خطاب النفس [1] ، فقوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ، فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [2].

وهذا الرجوع من الغيبة إلى خطاب النفس، فإنه قال وزينا بعد قوله" ثم استوى " وقوله فقضاهن وأوحى وفائدة الالتفات هنا أن طائفة من الناس غير المتشرعين يعتقدون أن النجوم ليست من سماء الدنيا ، و إنها ليست حفضا و لا رجوما ، فلما صار الكلام إلى هاهناعدل به عن خطاب الغائب إلى خطاب النفس لأنه مهم من مهمات الاعتقاد [3] .

ب)الرجوع من الخطاب النفس إلى الجماعة[4] :

ومن ذلك قوله تعالى:" وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ[5].

1- المثل السائر، ص 186.

2- سورة فصلت، الآية 11-12.

3- المثل السائر، ص187. 186.

4- المصدر نفسه، ص187 .

5- سورة يس، الآية 22.

حيث صرف الكلام عن خطاب نفسه إلى خطابهم لإبراز الكلام لهم في معرض المناصحة ، وهو يريد من صحتهم ليتلطف بهم ويداريهم لأن ذلك أدخل في أمحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه ، وقد وضح قوله ومالي" أعبد الذي فطرني " فكان قوله" ومالكم لا تعبدون الذي فطركم" بدليل قوله بعد ذلك واليه ترجعون .

ولولا هذا القصد لقال :" الذي فطرني وإليه أرجع "، وقد ساقه هذا المساق إلى إنتقال ، " إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ "[1] .

ج) الرجوع من خطاب النفس إلى خطاب الواحد"[2] :

ومنه قوله تعالى: " إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ، رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ "[3].

1- سورة يس،الآية 25 .

2- المثل السائر، ص 187.

3- سورة الدخان الآية 3-6.

والفائدة منها هي تخصيص النبي صلي الله عليه وسلم بالذكر والإشارة بأن إنزال الكتاب إنما هو إليه ، وإن لم يكن ذلك صريحا لأن مفهوم الكلام يدل عليه "[1]"، وأما الرجوع من الخطاب إلى الغيبة"[2]" ، فمنه قوله تعالى : " هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ "[3]" .

فقد صرف الكلام هنا من الخطاب إلى الغيبة لكي يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها كالمخبر لهم ويطلب منهم الإنكار عليهم.

القسم الثاني:

الرجوع من الفعل المستقبل إلى فعل الأمر ، ومن الفعل الماضي إلى فعل الأمر "[4]" ، ويقول عنه إبن الأثير :" انه كالذي قبله في إنه ليس الإنتقال فيه من صيغة إلى صيغة طلبا لتوسيع في أساليب الكلام فقط بل الأمر وراء ذلك وإنما يقصد إليه تعظيما لحال من أجرى عليه الفعل المستقبل وتفخيما لأمره و بالضد من ذلك فيمن أجرى عليه فعل الأمر "[5]" .

ومن هذا القسم قوله تعالى: " قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ، إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ، قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ " "[6]" .

1- *المثل السائر، 2، ص 188.*

2- *المثل السائر، 2، ص 191.*

3- *سورة يونس الآية 22.*

4- *المثل السائر: ص 192.*

5- *المصدر نفسه ، ص 192.*

6- *سورة هود الآية : 53-54*

فقد قال : "أشهدوا " ولم يقل و أشهدكم " ليكون موازنا له و بمعناه فإشهاده الله على البراءة من الشرك الصحيح الثابت ،و أما إشهادهم ، فما هو إلا تهاون بهم ودلالة على قلة المبالاة بأمرهم"[1] .

القـــــسم الثالـــــــث:

الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وعن المستقبل بالماضي"[2] .

فالأول هو الإخبار عن الماضي بالمستقبل، أبلغ من الإخبار بالماضي لأن فعل المستقبل يبين الحال التي يقع فيها و يستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها وليس كذلك الماضي.

فالضرب الأول : كقوله تعالى : " وَاللَّـهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، كَذَٰلِكَ النُّشُورُ " "[3] .

وإنما عبر بالمستقبل عن الماضي في قوله تعالى فتثير لحكاية الحال التي يقع فيها إثارة الريح السحاب و استحضار تلك الصورة البديعية الدالة على القدرة الباهرة وهذا بفعل بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية كحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك"[4].

ففي هذه الآية التفات لما كره إبن الأثير هو الانتقال من الغيبة في قوله "" والله الذي أرسل"" إلى المتكلم في قوله " فسقناه " .

الضرب الثاني : الإخبار عن المستقبل بالماضي ومن أمثلته قوله تعالى : "وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ، وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ " "[5] ، فهو إنما قال " ففزع " بلفظ الماضي بعد قوله " ينفخ "وهو مستقبل للإشعار بتحقيق الفزع ، و أنه كائن لا محالة ، لأن الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به .

1- *المثل السائر، ص 193.*

2- *المثل السائر، ص 194.*

3- سورة فاطر: الآية 9.

4- *المثل السائر، ص 195.*

5- سورة النحل: الآية 87.

يلاحظ أن ابن الأثير فهم هذا الفن البديعي ويظهر ذلك في سر بلاغته عندما جعل القرآن الكريم وكلام العرب البلغاء همه في التطبيق ليعرف قيمة هذه الفن.

الاقتـــصاد و الـــتفريط و الإفـــراط :

وضح إبن الأثير حقيقة هذه المعاني الثلاثة ويرى أن التفريط هو التقصير في المعاني عن المطلوب والإفراط الزيادة فيه والاقتصاد والاعتدال والتوسط بين الطرفين .

قال الله تعالى:» فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ، ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ " "[1] .

فظلم النفس والسبق بالخيرات طرفان والاقتصاد وسط بينهما وهذا المعنى اللغوي أما في الاصطلاح البياني فهو أن يكون المعنى المضمر في العبارة على حسب ما تقتضيه منزلة المعبر عنه في منزلته و الإفراط عنده الغلو أو المغالاة وذكر أن قوما من أرباب هذه الصناعة ذموه آخرون و المذهب عنده استعماله ، فإن أحسن شعرا أكذبه بل أصدقه أكذبه والاقتصاد ما وردت فيه مبالغة مقبولة ، مسبوقة يكاد وما يجري مجراها من أفعال المقاربة "[2] .

التـــــــجنـــــــيس :

البديع اللفظي عند ابن الأثير:

فقد امتدح ابن الأثير هذا الموضوع في بداية حديثه عنه فقال " إنه غرة شامخة في وجه الكلام " "[3].

1- سورة فاطر: الآية 32.

2- المثل السائر، ج 3، ص 222.

3- المثل السائر ،ج 1 ، ص 379.

وقال في فصل أخر حين تكلم عن آلات علم البيان وأدواته وكذلك يحتاج إلى معرفة الأسماء المشتركة ليمتحن بها على استعمال التجنيس في كلامه وهي اتحاد الاسم و اختلاف المسميات كالعين فإنها تطلق على العين الناظرة وعلى ينبوع الماء ، وعلى المطر وغيره إلا أن المشتركة تفتقر في الاستعمال إلى قرينة تخصها، كي لا تكون مبهمة لأن إذا قلنا عين ... ثم سكتنا وقع ذلك على محتملات كثيرة من العين الناظرة والمطر وغيره ، مما هو موضوع بإزاء هذا الاسم و إذا قرنا إليه قرينة تخصه زال ذلك الإبهام بان تقول عين مستاء أو عين نضاحة، أو أمثلته "[1] .

و قد قسم إبن الأثير الجناس إلى قسمين :

1-تجنيس على الحقيقة ، وهو ما يعرف عند الخطيب بالجناس التام ، وعرفه يقوله أن تتساوى حروف ألفاظه في تركيبها ووزنها كقوله تعالى : " يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ "[2] .

فالساعة الأولى القيامة والثانية الوقت المعلوم من الزمن ومما جاء في الشعر أبي تمام:

فأصبحت غرر الأيام مشرقـــــــة بالنصر تضحك عن أيامك الغرر .

فالغرر الأولى استعارة من غرر الوجه، والغرر الثانية مأخوذة من غرة الشيء، أكرمه، فاللفظ واحد المعنى مختلف.

1-المثل السائر،ج 1 ، ص 70-71

2-سورة الروم الآية 55.

ومنه قوله :

من القوم جعد أبيض الوجه والندى و ليس بنان يجتدى منه بالجعد .

فالجعد : السيد، و البيان الجعد : ضد البسيط فأحدهما يوقف به السيد والأخر يوصف به البخيل .

يلاحظ على هذه الأمثلة التي ساقها إبن الأثير هي الجناس بين إسمين بمعنى أن اللفظين فيه إنما هما من نوع واحد ، وقد سماه الخطيب القزويني"[1] المماثل وسماه عبد القاهر بالمستوفى "[2] وسماه العلوي بالمستوفى والكامل "[3] .

و قد أورد ابن الأثير لأبي العلاء المعري قــوله :

لو زارنا ضيف ذات الخال أحيانا و نحن في حفر الأجداث أحيانا

فأحيانا في الشطر الأول في البيت الأول ، جمع حين وهو الزمن ى، وأحيانا في الشطر الثاني منه فعل ما في أي بحث فينا الحياة بعد الموت ، فالجناس في هذا البيت ليس بين لفظين من نوع واحد وإنما هما لفظان من نوعين مختلفين لأنه إسم وفعل و الجناس الواقع بين نوعين كإسم والفعل يسميه الخطيب المستوفى .

1- الخطيب القزويني ،الإيضاح، ج 6، ص 206.

2- عبدالقاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة ، ص 5 .

3- العلوي، الطراز، ج 2، ص 356.

الـــــقسم الثـــــاني:

تجنيس بالمشابهة وهو ستة أنواع :

أولـــها : أن تكون الحروف المتساوية في تركيبها مختلفة في وزنها وهذا يعني أن الاختلاف في هيئات الحروف وقد مثله ابن الأثير بقول النبي صلى الله عليه وسلم : " اللهم كما حسنت خلقي حسن خلقي"[1] ، حيث اتحدت أنواع الحروف و أعدادها وترتيبها و اختلافا في هيأتها فالأولى بفتح الخاء و الثانية بضمها .

و قول البحتري :

وفر الخائن المغرور يرجو أمانا أي ساعة مـــا أمان.

يهاب الالتفات وقد تهـــيا للحظة طرفه طرف السنان .

يلاحظ مما تقدم أن الجناس بين طرفه وطرف، وخلقي، وخلقي إنما هو من الجناس يدعى عند الخطيب جناس محرفا "[2].

و يعني هذا أنهما اختلفا في أعداد الحروف فقط واتفقا في أنواعها وهيأتها وترتيبها .

ثـانيهما : أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير وإن زاد على ذلك خرج من باب التجنيس"[3].

1- مسند الإمام احمد بن حنبل ،ج1،ص303.

2- الخطيب القزويني ،الإيضاح، ص 218.

3- المثل السائر، 1، ص 376.

و مما جاء منه قوله تعالى:" وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ،إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ "[1] ، فإن الإختلاف بين حرفين متقاربين و إن كان متحدين من حيث الوزن .

وقوله أيضا : " ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ"[2] .

فالإختلاف بين حرفين متقاربين و إن كان متساويين في الوزن .

ثالثها : أن تكون الألفاظ مختلفة في الوزن والتركيب بحرف واحد "[3] .

عـن ذلك قوله تعالى: " وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ "[4].

فالاختلاف يظهر بين الساق والمساق وهذا النوع عد الخطيب من الجناس الناقص وقوله تعالى أيضا: " وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا "[5].

فإلاختلاف يظهر بين يحسبون و يحسنون .

و من الشعر قول أبي تمام :

بدر أطالت فيك بادرة النوع ولــعا والشمس أولعت بشماس.

1- *سورة القيامة الآية 22-23.*

2- *سورة غافر الآية 75.*

3- *المثل السائر، 1، ص 288.*

4- *سورة القيامة، الآية، 30، 29.*

5- *سورة الكهف، الآية 104.*

و يلاحظ أن ابن الأثير جاء بما ألحقه الخطيب بالجناس وهو نوعان:

الأول : جناس الاشتقاق وهو ما يجمع فيه الخطيب الإشتقاق نحو قوله تعالى:" فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا "[1] و قوله " سأل سائِلٌ بِعذابٍ واقِعٍ"[2] .

الثاني: أن يجمع بين اللفظين شبه الاشتقاق وهذا النوع أكثر من سابقه وأدخل في الجناس و أجدر أن يكون منه و ألا يكون ملحقا به من قول النابغة :

و أقطع الخرق بالخرقاء قد جعلت بـــــعد الكلال تشكي الأين والسأما .

فلعل السمة الأدبية التي إنفرد بها ابن الأثير هي التي جعلته يكثر من الشواهد الأدبية دون النظر في الأنواع التي تتفرع من الجناس.

النـــــوع الـــــرابع:

و يسمى المعكوس : وهـــو ضربان :

أحدهما عكس الألفاظ : كـــقول بعضهم (عادات السادات ، سادات العادات) و كـــقول الأخر (شيم الأحرار ، أحرار الشيم) "[3] .

و منه قـــول المتنبي :

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله و لا مال فـي الدنيا لـــمن قل مجده.

و يقول إبن الأثير ، و قد سماه قدامة بن جعفر الكاتب "التبديل " ، وذلك إسم مناسب لمسماه لأن مؤلف الكلام يأتي بما كان مقدما في جزء كلامه الأول مؤخرا في الثاني و بما كان مؤخرا في الأول مقدما في الثاني"[4] ، ثم مثل له في قوله قول :

أشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من شكرك، و الآخر عكس الحروف.

1- *سورة نوح، الآية 10.*

2- *سورة المعارج ، الآية 1.*

3- *المثل السائر، ص 392، 393.*

4- *المثل السائر، ص 394.*

مثله له بقول الشاعر:

أهديت شيئا يقل لولا أحدثــوه الفال والبتبرك

كرسي تفــاءلت فيه لما رأيــت مقلــوبة يـسرك.

هذا النوع يسمى عند الخطيب جناس القلب وهو نادر الاستعمال لأنه قلما يقع كلمة تقلب حروفها فيجيء معناها صوابا"[1] .

النوع الخـــــــامس:

المجنب : وهــو أن يجمع مؤلف بين كلمتين أحداهما كالتبع للأخرى و الجنيبة لها و منه قول الشاعر :

أبا العباس لا تحسب بأني لشيء من حل الأشعار عارى

فلى طبع كسلسال معين زلال من ذرا الأحجار جـــارى

ثـم يقول " وهذا القسم عندي فيه نفر " ، لأنه يلزم مالا يلزم أولى منه بالتجنيس ، ألا ترى أن التجنيس هو إتفاق اللفظ والاختلاف المعنى، و هاهنا لم يتفق إلا جزء من اللفظ وهو أقله وأما اللزوم من الكلام المنثور فهو تســاوى الحروف قبل الفواصــل المسجوعة ، و هذا هو كذلك لأن العين و الراء تساويا في البيت الأول في قوله : "الأشعار وعار " والجيم والراء في البيت الثاني في قوله "" الأحجار وجار" "[2].

1- المثل السائر، 1، ص 396.

2- المثل السائر، 1، ص 397.

النوع الســـــــــادس:

من المشبه بالتجنيس : وهو ما يساوي وزنه وتركيبه ، غير أن حروفه تتقدم وتتأخر، منه قول أبي تمام :

بيض الصحائف لاسود الصفائح في متونهن جلاء الشك والريب.

فالصحائف والصفائح قد قدمت حروفه وتأخرت.

الســـــــــجـــــع :

و قد عرف ابن الأثير السجع بقوله " تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد "[1] .

ثم يقول و قد ذمه بعض أصحابها من أرباب هذه الصناعة ولا أرى لذلك وجها سوى عجزهم أن يأتوا به وإلا فلو كان مذموما لما ورد في القرآن الكريم ، فإنه قد أتى منه بالكثير حتى إنه ليؤتى بالسورة جميعا ، مسجوعة كسورة الرحمان ، سورة القمر وغيرها كما أنه لم تخل من السجع سورة من سور القرآن .

فـــما جاء منه في القرآن الكريم: " إِنَّ اللَّـهَ لَعَنَ الْكافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا، خالِدِينَ فِيها أَبَدًا لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا " "[2] .

وقوله تعالى : " وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ،فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ، فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ، فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ،فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا " "[3] .

1- المثل السائر،ج 1، ص 308 .

2- سورة الأحزاب، الآية، 64، 65.

3- سورة العاديات الآية 1- 5.

و مثال ذلك كثيرة ثم يرد إبن الأثير على الذين يذمون السجع في القران الكريم وأن ذلك وارد في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم إذ يقول : " أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس قيام ، تدخلوا الجنة بسلام "[1] .

و من ذلك أيضا، ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "استحيوا من الله حق الحياء، قلنا: إنا لنستحي من الله يـــا رسول الله ! قال : ليس ذلك ، ولكن الاستحياء من الله تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى ، وتذكر الموت و البلى ، و من أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا "[2] ، و أمـــــا ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعضهم منكرا عليه و كلمة بكلام مسجوع : سجعا كسجع الكهان "[3] ، ولولا أن السجع مكروه لما أنكره النبي صلى الله عليه وسلم فابن الأثير على ذلك قائلا لوكره النبي صلى الله عليه وســلم السجع مطلقا لقال أسجعا ؟ ثم سكت و كان المعنى يدل علـــى إنكار هذا الفعل لما كان فلما قال" أسجع كسجع الكهان ، صار المعنى معلقا على الأمر ، وهـــو إنكار الفعل على هذا الوجه ، فعلم أنه إنما ذم من السجع مثل سجع الكهان لا غير ، و أنه لم يذم السجع على الإطلاق فقد ورد في القرآن الكريم""[4].

1- سنن بن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب174 ،المكتبة العلمية، بيروت : لبنان ، ج1،ص423.

2- رواه الترمذي ، كتاب صفحة القيامة ، عن عبد الله بن مسعود ، ج4 ، ص637 .

3- الذي في صحيح المسلم، كتاب القسامة، ج3، ص1311. (أسجع كسجع الكهان) .

4- المثل السائر، ص310.

فـالسجع إذن ليس بمنهى عنه ، و إنما المنهي عنه هو حكم المتبوع في قول الكاهن فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام "" أسجعا كسجع الأذهان ثم يقول: " واعلم أن الأصل في السجع إنما هو الإعتدال في مقاطع الكلام والإعتدال مطلوب في جميع الأشياء و النفس تميل إليه بالطبع "[1].

و مـــع هذا فليس الوقوف في السجع عند الإعتدال فقط ولا عند تواطؤ الفواصل على حرف واحد إذ لو كان ذلك هو المراد من السجع لكان كل أديب من الأدباء سجاعا ، و ما من أحد منهم لو شدا شيئا يسيرا من الأدب إلا و يمكنه أن يؤلف ألفاظا مسجوعة حلوة حادة وأن صاحبها يعرف نظره إلى السجع نفسه من غير نظر إلى مفردات الألفاظ المسجوعة ، ما يشترط لها من الحسن ولا إلى تركيبها وما يشترط له من الحسن وهو في الذي يأتي به من الألفاظ المسجوعة .

وهكذا يرى إبن الأثير أن هذا الفن البديع هو مظهر من مظاهر الإقتدار على البلاغة و يرى أيضا أن السجع الكثير في القرآن قد جاء في أرفع سور البيان ، وقد باين كل أسجاع الساجعين وقد جاوز أيضا ببلاغته الرائعة جميع بلاغات العرب . و مهما يكن فـــالسجع من فنون البديع التـي ذاهت فـي القرن السادس ، و كان غاية الأديب يقصد إليه ، ويتكلفه فقط و استرذله النقاد و ليس ذلك راجعا إلى قلة نشأته في الأسـلوب .

أقســـــام الســـجع : يقسم إبن الأثير السجع إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول:

أن يكون الفصلان متساويين لا يزيد احدهما عن الأخر كقوله تعالى:" فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَر، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ" "[2] و قوله تعالى : " وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ، فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ، فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ،فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ،فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا . "[3]

1- المثل السائر، ص310، 314.

2- سورة الضحى، الآية 9 – 10.

3- سورة العاديات، الآية 1- 5.

و هـــــذا النوع أشرف السجع منزلة للاعتدال الذي فيه كما يقول ابن الأثير .

القســـــم الثـــــاني:

أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول طولا لا يخرج به عن الاعتدال خروجا كثيرا منه قوله تعالى : " بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ، واعتدنا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ، إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ، وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا " "[1]

و أمثال ذلك القرآن الكريم كثير كما يقول ابن الأثير.

أمـــــا القســـم الثـــالث :

وهو أن يكون الفصل الأخر أقصر من الأول ، ويرى ابن الأثير أن هذا النوع عيب فاحش و ذلك أن السجع قد استوفى أمده في الفصل بسبب طوله ثم يجيء الفصل الثاني قصيرا عن الأول فيكون كالشيء المبتور"[2] .

ثم يبن ابن الأثير أن السجع على إختلاف أقسامه ضربان :

أولا : السجع القصير : وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة و كلما قلت الألفاظ كان أفضل لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع .

و الضرب الأخر : وهو ضد الأول لأنه أسهل متناولا وكل من هذين الضربين تتفاوت درجاته فالسجع القصير أحسنه ما كان مؤلفا من لفظين كقوله تعالى : "وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا" "[3] ، و قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ،قُمْ فَأَنذِرْ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ "[4] ، يرى ابن الأثير أن ماكان عشرة ألفاظ يعد السجع القصير وإما مازاد عن ذلك فإنه من الطويل وهو أيضا درجاته متفاوتة .

1- سورة الفرقان، الآية 11-13.

2- المثل السائر، ج1، ص372.

3- سورة المرسلات، الآية، 1-2.

4- سورة المدثر، الآية، 1، 4.

و من السجع الطويل مايكون تأليفه من العشرين لـــفظه في طولها فقوله تعالى : " إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ، وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ،وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ " "[1] .

الـــــتصـــــــريع:

يرى ابن الأثير أن التصريع مأخوذ من ترصيع العقد بأن يكون في أحد جانبي العقد من اللآلئ مثل ما في الجانب الآخر ، وقد تجعل الألفاظ المنثورة من الأسجاع ، وهو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الأول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني الوزن و القافية"[2] .

و يجيء التصريع في الشعر ، ولكنه لا يجيء في القرآن الكريم لما فيه من تكلف كما أنه قليل جدا في الشعر لما فيه من تعمق الصنعة و تعسف الـكلفة ومن ذلك قول الشاعر :

فـمكارم أوليتها متبرعا وجرائم ألـفيتها متورعا.

و مما جاء نثرا قــول الحريري ، فهو يطيع الأسجاع بجواهر لفظه، و يقرع الأسماع بزواجر وعـظه فألفاظ الفصل الأول مساوية لألفاظ الفصل الثاني وزنا وقافية "[3] .

لـــــزوم مـــالا يلـــــزم:

يرى ابن الأثير أن الفن عن أشق هذه الصناعة مذهبا و أبعدها مسلكا ، لأن اللازم في هذا الموضع إنما هو السجع ، وهو تساوي أجزاء الفواصل من الكلام المنثور في قوانينها ، وهو فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفا واحدا و في الشعر أن تتساوى الحروف التي قبل روي الأبيات الشعرية"[4] .

1- سورة الأنفال، الآية، 43، 44.

2- المثل السائر، ج1، ص 397.

3- المصدر نفسه ،ص 397.

4- القزويني ، الإيضاح ، ص 222.

جعل ابن الأثير لهذا النوع شاملا للشعر و النثر و جاره في ذلك الخطيب القز ويني"[1] ، كما جعله ملحقا له وسماه ما يلحق باللزوم ، و ذلك أن الكلمة الأخيرة إذا صغرت من الشعر أو من فواصل الكلام المنثور فهو ملحق باللزوم و التصغير عوضا عن تساوي الحروف التي قبل روي الأبيات الشعرية و التي قبل الفاصلة من النثر و ورد مثل هذا النوع في القرآن الكريم يسير جدا. فمن قوله تعالى :" إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ "[2] .

المـــــوازنـــة:

يعرفها بقوله هي أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور ، متساوية في الوزن وأن يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساوي الألفاظ وزنا و للكلام مع الموازنة "[3] طلاوة ورونقا وسبب الاعتدال ، لأنه مطلوب في جميع الأشياء ولهذا يكون أسلوب الموازنة أخا السجع في المعادلة دون المماثلة لأن في السجع إعتدلا وزيادة على الاعتدال وهي تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد "[4] .

1- المثل السائر، 1، ص 397.

2- سورة العلق، الآية، 1، 2.

3- المثل السائر، ص 414.

4- المثل السائر، ص415.

فكل سجع موازنة وليس كل موازنة سجع وعلى هذا فالسجع أفضل من الموازنة .
ومن هذا النوع قوله تعالى : " وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّـهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ، كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ، أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ، فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا " [1] .

فالموازنة بين عزا و أزا وبين ضدا و عدا

و قوله أيضا:" مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ، خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاء لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلا [2] .

وهذه هي بعض أنواع البديع التي أوردها ابن الأثير في كتابه المثل السائر و لحظنا كيف عالج ابن الأثير هذه الفنون علاجا إمتاز بلمحاته الفنية وذوقه الأدبي الخالص ، و كيف عاد بها إلى مصادر الأولية القديمة و هي القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة و أشعار العرب القدماء ، و أكثر من إيراد الشواهد و حللها ببيان دقائقها الفنية و تشريح ما جاء فيها من عيوب على حد ما ورد في أنواع البديع لابن الأثير.

1- سورة مريم ، الآية، 84.81 .

2- سورة طه ،الآية ،100،101.

خاتمة

إن الوصول في نهاية المطاف كما ندعي ليس بالأمر الهين، فالمحطة الأخيرة هي حقيقة سير المسيرة، فهي لسيت نهاية خاتمة الفصول فحسب بل زبدة وخلاصة ما تقدم في العرض فالباحث والقارئ قد يختلفان في أشياء وربما تغيب أشياء عن ذهن القارئ بيد أنها تبقى عالقة بذهن الباحث مشكلة لديه تبحث عن إجابة مقنعة وعليه فإن أهم النتائج التي توصلنا إليها يمكن إجمالها في النقاط التالية :

1. البديع هو العلم الثالث من علوم البلاغة العربية فهو طلاء خارجي يضيف على الكلام حسنا ظاهريا.
2. البديع مهم في البلاغة لأننا نرى بلاغة الكلام نقوم على ركنين أساسسين : إفادة التوصل وخلق الإحساس بالمتعة والجمال ومخاطبة المشاعر بلغة موحية وأنيقة لذلك لا يمكن أن يكون البديع أمرا زائدا أو غير مرغوب فيه بل يمكن القول أن الكثير من صور المعاني والبيان ما يحقق الإحساس بالمتعة والجمال فهما مشتركان مع البديع وليس إحتصاص في الأمر والجمال في البديع .
3. لم ينظر إبن الأثير إلى المحسنات البديعية كعلم قائم بذاته كما فعل السكاكي وغيرهم لذلك نراه في مقالته الأولى الخاصة بالصناعة اللفظية يتكلم عن المحسنات البديعية اللفظية وفي مقالته الثانية الخاصة بالصناعة المعنوية يعرض للمحسنات البديعية المعنوية وأن المحسنات البديعية اللفظية عنده هي صناعة تأليف الألفاظ ولهذا ساق منها في مقالته الأولى .
4. إبن الأثير لم يقف في دراسته لأنواع البديع عند حد تعريفها وبيان أقسامها وتفريعاتها وإنما هو أيضا يمد دراسته لها إلى بيان ما يختص بالكلام المنثور وما يختص بالكلام المنظوم وما يعم القسمين معا.

والفضل لله بدايتا وختاما وصلى الله عليه وسلم على رسوله الكريم والحمد لله رب العالمين .

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص

السنة النبوية

المصـــــــادر:

1- الجاحظ ، البيـــان والتبييـــن ، تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الأنجلو المصرية ط 2 ، 1948.

2- العلوي ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1983 .

3- إبن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، ط4 ، مكتبة دار الجيل ، بيروت ، 1972.

4-إبن المعتز ، البديع ، تحقيق كراتشفو قسكي ، دار الحكمة ، دمشق ، د.ط .

5-إبن سينان الخفاجي ، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط.1 ، 1982.

6-ابو هلال العسكري ، الصناعتين ، تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، ط1، 1981.

7-السكاكي ، مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط.1 ، 1983.

8-أسامة بن منقذ ، البديع في نقد الشعر ، تحقيق احمد أحمد بدوي ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، د.ت.

9-الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط.1 ، 2003.

10-ضياء الدين إبن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق بدوي طبانة وأحمد الحوفي ، دار النهضة مصر ، ط.2 ، د.ت.

11-مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ، القاموس المحيط ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ج3 ، 1952.

12-قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي ، ط1 ، 1979.

13-عبد الرحيم أحمد العباسي ، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، تحقيق محي الدين عبد الحميد عالم الكتب بيروت ، ج3 ، 1947.

المراجـــــــــع :

1- عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط ، 1974.

2- عبد القادر حسين، فن البديع دار الشروق، بيروت، ط1، 1983.

3- عبـــد العظـــيم المطعنـــي البـــديع مـــن المعـــاني والألفـــاظ ، دار وهـــدأن للطباعـــة والنشر ، ط1 ، 1976.

4- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، ط6، بدون تاريخ.

5- محمـــود أحســـن المراغـــي ، فـــي البلاغـــة العربيـــة ، دار العلـــوم العربيـــة ، بيـــروت لبنان ، ط1 ، 1991.

الفهرس

كلمة شكر و تقدير
الاهداء
مقدمة ..... أ
الفصل الأول: المراحل التاريخية لنمو مصطلح البديع 5
المبحث الأول: تعريف مصطلح البديع: لغة واصطلاحا.....6-7
المبحث الثاني : رواد البديع 8-16
الفصل الثاني : البديع عند ضياء الدين ابن الأثير 17
المبحث الأول : نبذة عن حياة ابن الأثير.....18-19
- منهجه في كتابة المثل السائر.....20-22
المبحث الثاني: البديع عند ابن الأثير 23-56
خاتمة.....58
قائمة المصادر والمراجع 60-61
الفهرس.....63